هل للفنان أن يتزوج

بقلم الكاتبة زينب محمد حسين

يكاد يجمع الكتاب والمفكرون على تعارض فكرة الزواج مع ميول الفنان ومع طبيعته ومع ما يطمح اليه من مجد ورفعة، ويثبتون بمختلف الحجج والبراهين أن فى الزواج حدا للنبوغ. وقتلا للروح الفنية ، والوقوف بعبقرية الفنان عند نقطة معلومة لا تتجاوز المرتبة التى وصل اليها قبل زواجه .

وليس الاجماع دليل الاصابة فكم من مرة أجمع المفكرون والعلماء والفلاسفة على نظريات تبيّن لخلفائهم أنها خاطئة لا تقوى على الوقوف أمام الحقائق والتجارب .

وقد عنّ لنا إزاء ما لمسناه من حقائق الزواج الموفق بين أعاظم الفنانين الأوروبيين أن نعرض الحياة فنانينا المصريين ، متخذين من الحقائق الثابتة مثلا يقوى حجتنا و يقضى على الاعتقاد الذى كاد أن يكون ايمانا بأنه ليس للفنان أن يتزوج ... فالحقيقة أن الفنان يتزع بطبيعته إلى الهدوء المطلق والسكينة الشاملة . ولا يمكن لهذه النزعات وهذه الميول أن تحقق إلا فى المنزل الهادئ الذى قوامه امرأة حكيمة مدبرة تخلق منه عشا هادئا طالما كان حالما رائعا فى خيال الفنان ، وأنشودة دائمة النغم فى قلبه المتشوق الى الكمال ، وموسيقى سماوية تشمل بألحانها الملائكية نفسه الشفافة الوادعة .

فإلى البيت ، والى البيت وحده ، يهرع الفنان بعد أن يكون قد أمضّه عالم الحقيقة بمزعجاته . وحشوه وزياداته ، فقل بربك! . أى سعادة وأى هناء وأى هدوء واستقرار يجده الفنان اذا ما عاد الى منزله المشوش المقفر .. الذى تسوده الفوضى وتخيم عليه الأقذار وترتع فيه الهوام والحشرات وتتبعثر فيه الأشياء بلا نظام ولا ترتيب مما يدعيه الفنان — تقصيرا منه وعجزا — أنه من لوازم الفن وضروراته ؟ .

الفنان بلا شك رجل ككل الرجال ، يعشق الكمال فى كل شىء ، بل أن روحه الفنانة أكثر منهم طموحا إلى رؤية كل ما هو جميل رقيق، لأن الفنان يصبو دائما الى المثل العليا ويهفو إلى الذوق المصفى ، ولكنه مع ذلك يميل الى الكسل اللذيذ الذى تخلوله فيه دنيا الأحلام . . . فتراه أبدا هائما مع خيالاته وأحلامه حتى تكاد تلك الأحلام تنسيه كل ما يحيط به من حقائق متممة . . أو قل لازمة لابراز تلك الصور الرائعة التى غالبا ما تتلاشى من خياله لعدم وجود الجو الملائم لتغذيتها وصقلها .

وقد سمعنا أن بعض الحكومات الأوروبية قد فكرت فى أن تقيم لكل فنان منزلا يتفق وأهواءه وخيالاته وما يتطلبه من هدوء ومتعة يمكن معهما أن يستوحى فنه فى الجو الذى ينشده ويتمناه ، لكى تحصل الدولة بعد ذلك على إنتاج فنى رائع تفخر به أمام الدول الأخرى.

من هذا يتبين لنا أن للهدوء المنزلى أكبر أثر فى الانتاج الفنى وليس أقدر من المرأة فى إيجاد وخلق ذلك الجو الحالم الذى يتعشقه الفنان .

ولما كان البيت فى حاجة إلى عناية المرأة وتنظيمها فقد عمد البعض إلى الاستعاضة عن الزوجة بالخادمة لتقوم بهذه المهمة ، وقد فاتهم أن المنزل لا يتم جماله بالتنسيق وحده . . بل بتلك الروح المشرقة المرحة التى تضفى من أنوثتها وجاذبيتها على كل ما بالمنزل سحرا وجمالا . . روح الزوجة المحبة التى تحرص كل الحرص على تحقيق رغبات زوجها والمحافظة على هنائه وسعادته. روح الزوجة التى يفتقدها أعاظم فنانينا فى منازلهم فلا يجدونها فيهرعون الى المقاهى والمنتديات تخلصا من أثر الوحدة القاتلة التى يلمسونها دائما فى منازلهم القفراء .

واذا كنا نرى أن كثيرا من الأزواج يتسببون بسوء تصرفهم وعدم تقديرهم لشعور المرأة فى فشل زواجهم ، فالفنان وهو الرقيق بطبعه ، المتسامح بغريزته ، أقدر من الرجل العادى على ادراك نزعات المرأة والتغلغل فى صميمها. واذا انعدم السبب زال المسبب وأمكن لتلك المزايا التى يمتاز بها الفنان أن يملك قلب الزوجة . تلك التى ستخلق منها رقة زوجها ومحبته هاديا له فى طريقه ، وعاملا قويا على تحقيق آماله وأمانيه .

وقد أثبتت الأيام أن المرأة اذا أحبت أخلصت وتفانت وكانت لرجلها نبراسا يهتدى به الى حيث المجد والرفعة .

ولا يمكن للمرأة أن تكون سببا فى هدم عشها الجميل الا اذا ابتليت بزوج مشاكس عنيد أو إذا كانت جاهلة متبلدة تسير فى الحياة على وتيرة واحدة مملة .

فاذا أراد الفنان أن يكون سعيدا بزواجه موفقا فيه ، فعليه أن يبتعد عن السبب الأول ويحاذر من الثانى فيدقق فى اختيار شريكة حياته ، ويا حبذا لو كانت ممن يتفقن وميوله أو ممن يتعشقن فنه .

والفتاة الراقية المثقفة هى أقرب الى تفهمه من سواها وأقدر على إذكاء روحه وأفكاره .

من كل ما تقدم يمكننا ان نؤكد أن إحجام بعض فنانينا عن الزواج — وأكثرهم من بلغ من العمر عتيا — ليس لعدم إيجاد مثلهم العليا فى الحياة ، فعندنا والحمد لله فى مصر من الفتيات الصالحات كثير. ولكنه هربا من تحمل مسئولياته وتبعاته بل وجبنا وضعفا من حقائق يبتعدون عن مواجهتها وفى الغالب لوجود نقص طبيعى فى تكوينهم يمنعهم من الاقدام

عليه، أو مرض نفسانى خطير ابتلتهم به وحدتهم الدائمة. ومع ذلك فهم يستترون وراء أقنعة زائفة ويدعون أن الزواج لا يتفق وميولهم كى يخفوا عن أعيننا حقائقهم المحزنة . ولا يكتبهم الصمت ستارا بل نراهم يشنون أفظع الحملات ضد الزواج فى كتبهم ومقالاتهم ويقذفون بالتهم للمرأة المسكينة مما يؤثر أعظم الأثر فى نفوس شبابنا الناهض الذى يتمثل بهم ويقتدى بنصائحهم العرجاء، وهذا دون شك مما يزيد فى أزمة الزواج التى استفحل خطبها وكاد أن يستعصى أمر علاجها .

والتاريخ يحدثنا عن أثر المرأة فى حياة الفنانين والعظماء ، وكيف كان لها اليد الطولى فى تنمية نبوغهم وإذكاء عبقريتهم ، وإخراج ثمرات قرائحهم التى انتزعت إعجاب العالم وتقديره

فجوهان ستراوس الذى رفعته امرأته من عامل فى مصرف إلى موسيقى خالد ، ووقفت إلى جانبه تشد أزره وتشجعه على اظهار مواهبه الفذة غير آبه بما اعترضه من عقبات فى سبيل خلق فن جديد ، تحدى به كل الفنون القديمة ، وأحدث هزة كبيرة فى أوروبا ذلك الحين، لم يصل إلى ذلك الا بفضل امرأته .

وها هى ذى مسز روزفلت التى لا تألو جهدا على الدأب فى وضع حجر جديد كل يوم يزيد فى بناء مجد زوجها وعظمته ... والتى آزرته وعاضدته حتى بلغ أسمى مكانة فى العالم الجديد .

ويضيق بنا الحصر إذا ما أعددنا زيجات الفنانين والعظماء التى توجت بالسعادة والتوفيق... والتى تناقض فى صراحة عجيبة ما نسمعه كل يوم من إحجام فنانينا عن الزواج وحججهم الواهية فى ذلك مما يرجع إلى تصويرهم الفردى فى هذا الأمر واعتقاداتهم الكاذبة .

وإذا كنا بعد كل ذلك لم نامس النقطة الحساسة فى عدم إقدام فنانينا على الزواج ، فهل يمكن إذن أن نعرف ما هى؟ حتى يمكن لتلك الأزمة التى لها أثرها الفظيع فى مستقبل أمتنا المصرية المحبوبة أن تنفرج ولو قليلا ؟ وحتى يمكن لذلك الداء الوبيل أن يقل خطره لا من جهة قلة النسل وحسب، بل من جهة الأخلاق العامة . أخلاق فتياتنا السذج اللواتى تبهرهن تلك الهالات البراقة ويحذبهن ذلك الغموض المشوق إلى التقرب اليهم . . وفتياننا الأغرار الذين تجذبهم بيوت الدعارة ومحل الموبقات ، بسبب احجامهم عن الزواج تشبها بأعاظم الفنانين .

ولسوف ندرك جميعا إذا ما حلت بعض تلك الأزمة المزمنة عمق تلك الهوة السحيقة التى نكاد أن نكون مسوقين إليها .

زينب محمد حسين